التاريخ العلمي لمدينة تلمسان إبان العهد العثماني من خلال النصوص والوثائق التاريخية.

The scientific history of the city of Tlemcen during the Ottoman era through historical texts and documents

محمد بومدين.
جامعة أبي بكر بلقايد؛ تلمسان (الجزائر).
البريد الإلكتروني: *boumedinem999@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 2022/08/04؛ تاريخ القبول:2022/11/05؛ تاريخ النشر:2022/12/15.

الملخص:

قامت هذه الدراسة على فكرة إعادة استكشاف الجانب العلمي الذي انتهجته نخبة تلمسان زمن العثمانيين، ممَّا يمكن أن نلتمسه من أوضاع علمية يمكنها أن تشرح لنا وضعية العلاقة التي جمعت صناع القرار من الأتراك العثمانيين بصَفوة من علماء تلمسان، بما يمكننا من استجلاء بعض السمات الخاصة بالحركة العلمية في المدينة المذكورة طيلة التواجد العثماني بها بشكل عام.

وتتضمن هذه الورقة العلمية تمهيدًا نبسط فيه بعض ملامح المعركة العلمية التي خاضها أهل تلمسان آنذاك مع صناع القرار بها من الأتراك العثمانيين، لما في هذه النبذة من إشارات تساعد في فهم طبيعة ما أدلت به النصوص التاريخية التي كتبها علماء تلمسان، والتي تتجلى فيها مواقفهم من ممارسات الإدارة العثمانية، وأحكامهم العامة الناتجة عن سياسة القادة العثمانيين وولاتهم، ومِمَّن عَنَت بهم يد السلطة في

تلمسان. كل ذلك بحثًا منا عن إجمال خلاصة الرأي في وجهة نظرتهم تلك التي قيدوها في مجلداتهم الأدبية، والتي تؤكد ابتعاد العثمانيين نسبيًا عن كل ما يتعلق بالحركة العلمية على العموم. إلا أنه على الرغم من ذلك سعت الأسرة التلمسانية إلى تكوين جيل من الطلبة والعلماء المتميزين، حملوا على عاتقهم تنوير دروب العلم والثقافة بتلمسان وقتذاك، حتى شاع ذكر هذه المدينة بين المراكز الثقافية بالبلاد الإسلامية بفضل المبادرات الشخصية لعلمائها في الميادين العلمية ومختلف العلوم العقلية والنقلية.

الكلمات المفتاحية: تلمسان؛ العهد العثماني؛ البيوتات العلمية؛ العلماء؛ المؤسسات الثقافية.

Abstract:

This study was based on the idea of re-discovering the scientific aspect that the Tlemcen elite walked in at the time of the Ottomans, with which we can clarify some of the features of the scientific movement in Tlemcen throughout the Ottoman presence there.

This scientific paper includes a preface in which we simplify the signs that help in understanding the nature of the historical texts written by the scholars of Tlemcen, which show their positions on the practices of the Ottoman administration. All this in search of a summary of the opinion in their point of view, which they recorded in their literary volumes, which confirms the relative distance of the Ottomans from encouraging the scientific movement. However, in spite of that, the Tlemcen family sought to train students and scholars, who carried the flag of Tlemcen on their shoulders, until this city became famous among the cultural centers of Islamic countries at the time.

Key words: Tlemcen Ottoman era; scientific bots; scholars; cultural institutions.

مقدمة:

شهدت الحركة العلمية في تلمسان خلال العهد العثماني واحدة من أخصب مراحل الثقافة التي عرفتها إيالة الجزائر على العموم، حيث احتضنت هذه المدينة الكثير من بيوتات العلم، والعلماء البارزين، وغيرهم من أعلام الفكر الذين خدموا العلم في هذه الحاضرة العلمية زمن العثمانيين، في ظرفيّة دوليّة عاش وقتها أعلام الفكر والثقافة في الجزائر عامة سِنِين عجاف على ما يبدو، حينما أصبحت دَفَتي البحر الأبيض المتوسط تتخبَّط في دوامة الصراع الإسباني العثماني، والّذي مَثّلَت مجريات حوادثه عُدوة المغرب العربي عامّة، وبرزت صروح مَشَاهِدِه الّتي يَئِن لها القلب قبل العقل، في شكل هجرات علمية اضطرارية منظّمة وغير منظمة صوب الحواضر العلمية بالبلدان الإسلامية.

في وقت كانت فيه تلمسان تشهد تدهورًا في جميع المجالات، وتسير بتسارع نحو نّفوق علميّ وأدبيّ لا نظير له، باعتبارها واحدة من المدن الساحليّة التي تأثرت بالظروف العسكرية والسياسية الهدامة للمراكز الثقافية ومؤسساتها. ولو لا حسن القدر الذي لم يعدم حظها من حركة علمية راقية، تغذت في بدايتها مع القرن 10هـ/16م، من آثار علماء المدرسة الزيانية ثم خصصت لنفسها مع القرن اللاحقة (11هـ/17م، و12هـ/18م، و13هـ/19م)، مناهج وأساليب وبرامج دراسية مرتبطة بأسس الفترة الحديثة. بالإضافة إلى اعتمادها على مبادئ التربية والتعليم العثمانية التي جعلت من الأسرة التلمسانية وغيرها من مثيلاتها في الإيالة هي من تُسيّر التعليم وتسهر على موارده المالية ومختلف حاجياته المادية والمعنوية.

وتماشيًا مع ما تم ذكره للتو، عملت الأسرة التلمسانية على تأطير أفرادها في مجال التربية وغرس مختلف العلوم العقلية والنقلية في قلوب أبنائها طيلة التواجد العثماني بمدينتهم، فتخرجت على إثر ذلك نخبة مميزة من طلبة العلم وعلمائه، وأصلوا بدورهم حمل لواء العطاء الفكري التلمساني في المشرق والمغرب، وأسسوا لمدرسة تلمسانية حديثة التكوين، أصبحت واحدة من المدارس العلمية التي يرتحل إليها للاستزادة العلمية وطلب الدراسة على يد شيوخها التلمسانيين الذين اشتهروا آنذاك بباعهم الطويل في التخصص في العلوم حتى ذاع صيتهم عند العام والخاص.

كما وجب الإشارة في خِضِم هذا التقديم التاريخي، إلى أنّ هؤلاء العلماء الّذين نبعوا من مختلف البيوتات العلميّة التلمسانية الأصل أو المنشأ خلال العهد العثماني، قد اهتبلوا اهتبالاً علميّا راقيّا في ميادين التّحقيق والتّصنيف، والتأليف والنسخ، والإجتهادات الفقهية والنوازلية لمختلف مناحي الحياة الإجتماعية في تلمسان العثمانية.

إن القراءة الأولية لمختلف النصوص والوثائق التاريخية التي توثق لمجريات الثقافة ورِجالاتها في مدينة تلمسان على عهد العثمانيين، تحيلنا من دون شك إلى التماس الإجابة على جملة من الأسئلة، التي تبدت لنا من خلال الطروحات المنهجية والاشكالات المعرفية التي باتت اليوم من بين أهم الركائز الأساسية التي يقوم عليها البحث الأكاديمي الجاد في ميادين التطرق للظاهرة العلمية ومعالمها الثقافية في مدن الإيالة الجزائرية وقراها ومداشرها على مر العصور.

ولتوضيح مرامي هذه الإشكالية وغمزاتها المتتالية، ارتأينا أن نؤسس ورقتنا البحثية هذه على طرح محوري موسوم بـ: "التاريخ العلمي

لمدينة تلمسان إبان العهد العثماني من خلال النصوص والوثائق التاريخية"، حيث أن الثابت في الأبحاث التاريخية الأصيلة كونها تقمش في الأصول المصدرية التي عايشت الحدث التاريخي، وتفاعلت معه، لاسيما منها من شاركت فيه وقامت بصناعته، على غرار بعض المصادر المحلية التي كان مؤلفوها من علماء تلمسان أنفسهم خلال العهد العثماني، وهو ما دفعنا أكثر لتقصي أدوارهم العلمية واسهاماتهم الفكرية في المجالات الثقافية الملتصقة بالظاهرة الإجتماعية التصاقا وثيقا في جميع المجالات خاصة الثقافي منها.

ولا مناص لنا من القول، سوى أن اعتماد النصوص التاريخية في بناء الحدث التاريخي وإعادة تركيب سياقاته الثقافية، لا يمكن أن يخرج عن المادة الأصلية التي كتبها أصحابها من العلماء أنفسهم، لتتبين لنا صورة الوضع العلمي أكثر، بغية استخلاص استنتاجات دقيقة وموضوعية إن صح القول، بما لا يدع مجالا للشك فيما يتعلق بطبيعة الحياة العلمية بتلمسان خلال العهد المدروس.

ومن هذا المنطلق، لعله من المفيد أن نشير إلى أنه يبقى التساؤل مطروحًا حول التداعيات السياسية والعسكرية وحتى الثقافية والاجتماعية للتواجد العثماني بتلمسان على مستوى الساحة العلمية على وجه الخصوص، ومدى مساهمة علماء تلمسان في الحياة الفكريّة والعلميّة لتلمسان عبر مختلف المؤسسات العلمية التلمسانية، التي بقيت تلقن العلوم العقليّة والنقليّة إبان العهد العثماني في إطار التموقع الحضاري الجديد لهذه المدينة في العهد العثماني. وإلى أي درجة ارتقت مكانة علماء تلمسان بين معاصريهم من العلماء في حواضر البلاد الإسلامية؟ وما الّذي ميّز سيرهم الدينيّة ومسيرتهم الدُنيويّة في مختلف

الحقول العلميّة والأدبيّة؟ وفيم تمثلت أهم منجزاتهم الثقافيّة وأثرهم الثقافي على مستوى التّدريس والتّصنيف والتأليف...؟ هذا دون إهمال السؤال الجوهري الذي يبحث في المساهمة الثقافية لمدينة تلمسان في نشر العلوم وتصديرها إلى الحواضر العلمية بالمشرق والمغرب. ولا يفوتنا أن ننوه أيضًا عن طبيعة العلاقة القائمة حينذاك بين القادة العثمانيين وولاتهم والعلماء التلمسانيين. وقد آثرت الدراسة من زاوية أخرى كيفية تأثير تلك العِلاقات السوسيوإجتماعية ذات الطابع الثقافي في الحركية العلمية بتلمسان خلال العهد الحديث.

1- إشكالية التواجد العثماني في إيالة الجزائر وتداعياته على الحركة العلمية:

ظل الوجود العسكري هو الظاهرة المميزة للحكم العثماني في الجزائر، بل وفي جميع أنحاء الدولة العثمانية. فقد كان الجهاد البحري هو الباعث على وجودهم في شواطئ شمال إفريقيا، وقد كانت قوة الحكام العثمانيين في الجزائر تقوى أو تضعف في نظر السكان بقدر ما يحققونه من انتصارات في البحر الأبيض المتوسط ضد أوربا(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 143).

إن المظهر العسكري الجهادي للوجود العثماني في الجزائر ثم استمرار التهديد الأجنبي قد طبعا الحكم العثماني، وكان كل ذلك أثر على الحياة الثقافية(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 143)، فرغم تصفية الإحتلال الإسباني من سواحل بجاية وتنس ووهران، فإن التهديد ظل مصدر قلق للسلطة العثمانية والسكان. إن هذا النزاع المستمر إلى غاية التحرير الأخير لوهران عام 1205هـ/1791م، قد أدى إلى تقوية الصلة بين عامة السكان وعلمائهم في إيالة الجزائر والعثمانيين، وهو ما

نتج عنه أيضًا إنتاج أدبي وعلمي غزير، قد لعب فيه الدين والتصوف والدروشة دورًا رئيسيًا في الحياة الثقافية بالإيالة(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 143).

2- التموقع الحضاري لمدينة تلمسان في ظل التواجد العثماني:

إن الحركة العلمية في مدينة تلمسان إبان العهد العثماني، قد تماهت عنها أقلام المؤرخين وهي تناول هذه التمظهرات العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني، إلا القِلة القليلة منهم مِمَّن خاض سطور عامة وضيقة، لا تغوص في مجريات الثقافة لهذه المدينة وهي تعيش الإهمال على ما يبدو من قِبَلِ أصحاب القرار بها من الأتراك العثمانيين، الذين نقلوا القيادة السياسية لبايلك الغرب من وهران ثم تلمسان ثم معسكر ثم إلى وهران ثم مازونة منذ إحكام دخولهم إلى تلمسان عام 927هـ/ 1517م(أنظر التعليق رقم :1)، في شكل استراتيجيات سياسية واثنو-ثقافية أرادت بواسطتها تطويق المذهب المالكي وتفعيله في الحاضرة العلمية الجديدة مازونة لاحقًا، فضلاً عن ممارسات أخرى لا تخرج عن هذه السياسات الهدامة للعلم ومراتعه، كتفضيلهم للعنصر المورسكي في رجاله العلماء على حساب العلماء المحليين (عرب، بربر...)، من أهل النخبة بتلمسان، لأسباب متنوعة ومتعددة، أبرزها تكوين نُخبة دينية موالية للأتراك مَثَّلها العنصر الأول(محمد بومدين، 2019، ص: 67)، وفقدها العنصر الثاني الذي بدأ يُعاكس السياسة الدينية للسلطة الحاكمة بمواقف الرفض الفعلي للوجود التركي بتلمسان خاصة والجزائر عامة. ومما زاد الطينة بلَة هو تحويل مدينة تلمسان زمن العثمانيين من حاضرة علمية ومركزًا للقرار السياسي إلى منطقة نفي ولجوء سياسي لكل عالم مناهض للسلطة الحاكمة أو

سياسي أو عسكري ثائر على مركز القيادة بدار السلطان بإيالة الجزائر، وهو ما أشار إليه أبو العباس أحمد سيدي محمود الشريف الزهَّار (ت 1289هـ/1872م) في "مذكراته" أن مدينة تلمسان كانت موطن نفي سياسي للعديد من السياسيين والعسكريين المعاقبين من قبل الإدارة العثمانية في دار السلطان، ففي شوال من عام 1232هـ/ 1824م، نفي إليها "الخزناجي" أحد الثائرين الأتراك والمشاركين في الانقلاب العسكري بدار السلطان، بقوله: "...، فعندما ثار العسكر على عمر باشا، وأرادوا غيره،...، فأرسل لهم شاوشا من الشواش، ...، فقالو له: ارجع إلى الباشا، وقل له يخرج من دار الإمارة فلا حاجة لنا به. ...، وأننا قادمون الآن إلى دار الإمارة، فإن وجدناه هناك. ...، وذهب إلى الجنينة، ...، ثم وصل العسكر إلى دار الإمارة، ...، وألبسوه الخلعة، ...، وأتى بمائتين من العسكر وأبقاهم معه، ...، ومن الغد عزل الوزراء، فمنهم من أبقاه، ومنهم من قتله، فأما الخزناجي فقد نفاه إلى تلمسان، ...."(الشريف الزهَّار، 1974، ص: 131 ـ 132).

ومع ذلك فقد ساهم العديد من علماء تلمسان مساهمة فعالة في حقول المعرفة، سواء خارج مدينتهم في موطن الهجرة بالحواضر الإسلامية، أو داخل تلمسان التي بقي فيها الكثير منهم ينشطون علميًا، وبمجهوداتهم الشخصية طِيلة ثلاثة قرون ونصف من الزمن، بسبب حبهم لهذه المدينة التي جمعتهم بها علاقة الوطن الأم والعلم، فكثير من علمائها قد خصصوا لها سطورًا من الدعاء في مؤلفاتهم، على ما نوه الباحث المرحوم "أبو القاسم سعد الله" في مقام تعريفه بأحد العلماء التلمسانيين الذين ألفوا في علم الفلك، وهو مجهول الإسم من علماء القرن 11هـ/17م، أنه كان مرتبطًا جدًا بمدينته تلمسان التي كان

كلما ذكرها في مؤلفه "التاج المرصع في شرح رجز ابي مقرع"، يدعوا لها قائلاً: "أبقاها الله دار إيمان"(سعد الله أبو القاسم، ج:2، ص: 412). والدعاء نفسه خصصه العالم أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة 1025هـ/1625م)، في "البستان"، بقوله: "...، من مدينة تلمسان حرسها الله،..."(ابن مريم، 2014، ص: 248).

علاقة وطيدة إذن جمعت علماء تلمسان بمدينتهم في خِضمِ ما لاقوه من صعوبات ميدانية على مستوى عدم توفير الأمن لهم ولِمقام عُلو شأنهم، بمثل ما أشار إليه "المشريفي" حول الضرر الذي لحق بعالم تلمسان ومفتيها أبي عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني (كان حيا سنة 1122هـ/ 1711م)، من قبل أعراب "قبيلة قيزة" ـ جيدرة ـ وهم فرقة من بني عامر كان مسكنهم بنواحي "تارقة" بالجبل المسمى على اسمهم "جبل قيزة"، بقوله: "...، وكانوا أهل بأس شديد، ...، ويسمون باللصوص، ...، وكم لهم من غارة على المسلمين وسبي لهم، ...، وسبب ضعفهم تسلطهم على ولي الله سيدي أحمد الحلفاوي، ...، فدعا عليهم بالشر فتقبل الله دعاءه كما دعا على إخوتهم الونازرة حيث انتهكوا حريمه فدعا عليهم بما حصل به النقص والضرر بهم للآن"(عبد القادر المعسكري المشريفي، (د.ت)، ص: 16).

جراء هذا الهاجس الأمني الذي أتى على الأخضر واليابس، فقدت تلمسان الكثير من سمعتها السياسية وقيمتها العلمية ومكانتها الاقتصادية خلال العهد العثماني بسبب هجرة عائلاتها الغنية وذات النفوذ إلى المغرب الأقصى، فضلاً عن تدخل الإسبان في شؤون الدولة الزيانية، ثم فرارًا من حكم العثمانيين عند استلائهم بالقوة على

مدينتهم المذكورة، وبذلك تقلص عدد سكان هذه المدينة من ذوي النفوذ الاجتماعي والاقتصادي والتأثير العلمي. لينعكس كل ذلك على الحركة الثقافية التي كانت تتغذى ماديًا وماليًا من الأوقاف الإجتماعية التي خصصتها تلك العائلات لمختلف مؤسساتها العلمية. ومن العائلات الشهيرة التي هاجرت إلى المغرب الأقصى "عائلة الونشريسي" و"عائلة المقري"(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 177)، بالإضافة لعائلات علمية وتجارية أخرى هاجرت إلى الحواضر المصرية مع نهاية القرن 10هـ/16م، نذكر منها: "عائلة الحناوي" التي ارتحلت إلى طولون المصرية في القرن 10هـ/16م، و"عائلة أبو طاي" التي هاجرت هي الأخرى لطولون والقاهرة في القرن نفسه، و"عائلة ابن منديل" التي هاجرت للإسكندرية حوالي سنة 940هـ/1533م، و"عائلة ابن الشيخ"، و"عائلة أبو زيان" التي هاجرت هي الأخرى للإسكندرية خلال القرن 10هـ/16م(عبد المعطي حسام محمد، 2015، ص: 169).

إلا أنه وبالرغم من الحالة السيئة التي أصبح يتخبط فيها النخبة بتلمسان خلال العهد المدروس، فإن هذه الأخيرة قد حافظت على شهرتها نوعا ما مع ثلة من العلماء الأفذاذ وفي مقدمتهم أبي عثمان سعيد المقري (كان حيا سنة 1014هـ/ 1606م)، الذي أضحى مقصدًا للعديد من الطلبة من داخل إيالة الجزائر أمثال الشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة (ت 1066هـ/1656م)، الذي قدم إليه من مدينة الجزائر سنة 1012هـ/1606م، وذلك لشهرته في التدريس (سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 331).

أما في الجانب العلمي والتجاري معًا، فقد بقيت مدينة تلمسان مقصد العلماء والتجار، حيث ذكر صاحب "مرآة المحاسن" في هذا الصدد أن أبا عبد الله محمد الأصغر بن محمد الفاسي الفهري (ت

1042هـ/1634م)، قد وفد على تلمسان ولقي بها العالم أبي عثمان السعيد المقري وجملة من العلماء كالعالم أبي عبد الله محمد بن محمد بن رحمة المطغري اليدّون التلمساني (كان حيا سنة 1052هـ/ 1644م)، على اثر زيارته لتلمسان على ما يبدو للتجارة وطلب العلم، وهو ما أشار إليه صاحب المؤلف المذكور بقوله: "...، وأبو عبد الله محمد الأصغر؛ فكان خيرا دينا، تاجرا نافعا. سافر في سبيل التجارة إلى مراكش، وتارودانت من سوس الأقصى وتلمسان والجزائر،...، وغيرها،...، ولقي بتلمسان الشيخ الإمام أبا عثمان سعيد المقري ـ رحمه الله، وحضر مجالسه، ولازمه،...، وكذلك لقي غيره من العلماء والفضلاء؛...، والشيخ الصالح أبي عبد الله محمد ابن رحمة،...، وغيره،..."(أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي، (د.ت)، ص: 208).

هذا وقد ارتحل إلى تلمسان العالم عيسى بن محمد اليحيوي الراسي البطوئي (كان حيا بعد سنة 1046هـ/1636م)، الذي مكث فيها مدة سبعة عشرة سنة قضاها كلها في سبيل التحصيل العلمي على يد علماء تلمسان ما بين 1008هـ/1600م ـ 1025هـ/1617م، في رحلة موسومة بـ: "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح" خصص جزء كبير منها للتعريف بحاضرة تلمسان وعلمائها وبيوتاتها العلمية الصغرى، ولم يتوان أيضا في إخبارنا عن مختلف المواد الدراسية التي قرأها عليهم وقتذاك. وفي شأن ذلك، تحدث "البطوئي" عن اتصالاته العلمية بسعيد المقري منذ البداية التي حل فيها بتلمسان، وهو يقول عن ملازمته له في الدراسة والتحصيل العلمي: "حضرت عنده "عقيدة السنوسي" الكبرى إلى ختمها"(البطوئي، 2000، ص: 43).

وللغاية نفسها حضر "البطوئي" مجالس الشيخ أبي عبد الله محمد العشوي الندرومي التلمساني (توفي بعد 1050هـ/ 1603م)، ولازم مجلسه لمدة غير يسيرة كما لاحظ هو نفسه. حيث قال عنه: "كنا نختم عنه "مختصر خليل" و"الرسالة الألفية" كل شتوة (الشتاء) مع مداومة "عقائد السنوسي"، يجلس للإقراء من الصباح إلى الزوال"(البطوئي، 2000، ص: 43).

وبناء على ما ذكرناه سابقًا حول تواصل النشاط الثقافي في تلمسان على عهد العثمانيين، فهذا لا يعنى أن الأوضاع السياسية والعسكرية قد أخذت المنحى الإيجابي السالف الذكر، فقد تلمسان شهدت فتن داخلية وثورات محلية مناهضة للحكم العثماني، تجسدت في الكثير من التمردات التي أخذت في أغلب الأحيان طابع الثورات المنظمة وغير المنظمة.

3- ثورات سكان مدينة تلمسان ضد العثمانيين:

بتقدم العهد، ومرور الأيام، منذ بسط الأتراك العثمانيين نفوذهم السياسي على مدينة تلمسان بشكل رسمي سنة 963هـ/ 1555م، بدأت تظهر ثورات منظمة وغير منظمة، في شكل تمردات تدفعها عوامل مختلفة، ذُكرت إحداها عند "ابن مريم" في "البستان" من دون إشارة منه لتاريخها، إلا أنه أوردها في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأدغم السويدي التلمساني الذي توفي حوالي سنة 980هـ/1572م، حيث جاء في "البستان" أن الترك نزلوا بمحلتهم في الدواوير القريبة من تلمسان، وكانوا يأخذون العلف من أحد هذه الدواوير، حيث قال: "...، وتشاجروا (يعني الترك) مع أهل الدوار وقام العرب يتقاتلون مع الترك"(ابن مريم، 2014، ص: 483). ويبدو أن سبب هذا

التشاجر كان إقتصاديًا، وكان العثمانيون قد نزلوا في هذا المكان وأرادوا الإستلاء بالقوة على الحبوب من المطامير ونحوها من مخازن العلف، وهو المورد الرئيسي للسكان، ولم يذكر "ابن مريم" زعيما لهذه الحادثة التي تبدو أنها كانت رد فعل تلقائي من السكان(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 212).

ومن بين الفتن والثورات التي نشبت في تلمسان ضد العثمانيين، ندرج فتنة أخرى لا تبعد زمنيًا، على ما يبدو، عن الفتنة السابقة الذكر، كان فيها العالمين أبي محمد عبد الله محمد ابن الصائم التلمساني (كان حيا سنة 1066هـ/1656م)، وشيخه أبو عبد الله محمد سيدي العبدلي التلمساني (ت 1035هـ/1625م)، مِمَّن قَامَا بتهدئة الأوضاع بين سكان مدينة تلمسان والأتراك العثمانيين، ومِمَّن قاموا أيضًا بزجر القائد التركي محمد بن سوري (ت 1040هـ/1632م)، في مقره بالمشور من جهة أخرى، فيقول صاحب "كعبة الطائفين" عن هذا الزجر والوعظ: "فدخلت مع الشيخ سيدي العبدلي بعد ظهر الجمعة على الأمير ـ محمد بن سوري ـ فزجره ووعظه"(ابن الصائم، (د.ت)، ص: 34).

وعن تفاصيل هذه الفتنة وخلفياتها السياسية، ذكر "ابن المفتي" في "التقييدات" أن محمد بن سوري فتح تلمسان بمحلة عسكرية كانت قد غادرت دار السلطان صوب المدينة المذكورة، وكان المدعي المغربي المدعو "السوسي" الثائر في تلمسان(أنظر التعليق رقم: 2) قد جاء يحتل هذه المدينة في 8 رمضان 1038هـ/1629م، وحمل بن سوري إلى قصر الباشا جلد المدعي وجلد خليفته "المهندر" محشو بالتبن في 15 رمضان 1038هـ/1629م(ابن المُفتِي، 2009، ص: 48 ـ 49).

وأثناء ثورة السوسي هذه سنة 1038هـ/1629م، التي هلك على إثرها عدد كبير من سكان مدينة تلمسان، قام العالم ابن الصائم، بالهجرة من قلب مدينة تلمسان إلى البادية خوفًا على حياته من جهة، وامتثالاً لأمر شيخه التلمساني (ت 1045هـ/1635م). الذي أنذره بالفرار إلى البادية حتى انتهاء الفتنة. إذ يخبرنا في "كعبة الطائفين"، على لسان شيخه، قائلاً: "قم وارحل منها رحيل العافية، قبل أن تزعج منها فلا تجد مخرجا،...، فإذا لم تخرج منها بغرضك حتى تخرج منها بالسيف، وإن أحياك الله ترى الدم في هذه المدينة،...، من كثرة القتل والهرج،...، وفررت بديني إلى البادية حتى قضى الله ما قضى، ومات القائم، أي محمد بن أحمد السوسي زعيم الثورة، ومات من الخلائق ما لا يحصى"(ابن الصائم (د.ت)، ص: 112).

وفي إطار الانعكاسات الاجتماعية والسياسية لهذه الثورات والفتن التي صاحبت على ما يظهر سنوات القرن 11هـ/17م، زمن حكم الباشوات والآغوات بالإيالة الجزائرية، والذي ميز هذين العهدين التوتر السياسي والعسكري، وكثرة القلاقل الداخلية والتوترات المحلية، أن واصلت العائلات التلمسانية هجرتها الاضطرارية نحو المغرب الأقصى، على ما ذكره الباحث "وليام مارسي" في مؤلفه "الآثار العربية بتلمسان" أنه قد هاجر العديد من سكان مدينة تلمسان إلى المغرب الأقصى في ظل الحرب القائمة آنذاك بينهم وبين قائد تلمسان "الباي حسن" الذي عاقب بشدة هذه المرة سكان مدينة تلمسان وقيامهم بثورة ضده أواخر القرن المذكور سنة 1078هـ/ 1670م(William Marcais, 1903 , P : 130).

وفي فترة حكم الحاج عصمان (ت 1170هـ/1762م)، لمدينة تلمسان، قام عليه أهلها في المرة الأولى من حكمه لهذه المدينة بزعامة

الباي يوسف المسراتي، في ظل حرب التكتلات المحلية التي ولدت عداوة بين أنصار كل باي من جهة، وبين البايات أنفسهم وسكان تلمسان، وهو ما حدث بالضبط عندما تولى الحاج عصمان في المرة الثانية على جميع الإيالة الغربية، الباي رقم 23 لبايلك الغرب، في أواسط محرم 1160هـ/1752م، وأمر بالمكر بأهل تلمسان مكرًا أفنى به عدد كبير منهم، وسببه أنه كان قائدًا بتلمسان في المدة الأولى كما سبقت الإشارة إليه، واقتنص منه يوسف المسراتي الحكم بدعم من سكان تلمسان الذي لم يطل الحكم فيها، بسبب عودة الحاج عصمان لسدة الحكم بهذه المدينة بالقوة، فتعصب عليه أهل تلمسان ونقموا عليه، وصاروا يرمون ساحته في الليل بكل ميتة ودم، فاغتاظ لذلك وذهب إلى دار السلطان، ولما مر بالمحال سأل منهم الماء لما عطش، فأتوه بلبن، وحين شرع في شربه أهرقوه عليه، وضحكوا في ذلك، فأسرها في نفسه، ولما حل بقصر الجنينة بدار السلطان واجتمع بالباشا ـ الداي ـ، طلب منه أن يوليه بايا، ويخضع له تلمسان، فكان له ذلك، إلى أن دخل بالجيش إلى تلمسان وأوقع بأهلها إيقاعًا ظالمًا، حيث يحكى أنه قتل في يوم واحد أربعين رجلاً على ما قيده أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني التلمساني (كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، في مؤلفه "دليل الحيران وأنيس السهران"(بن يوسف، 2012، ص: 255 ـ 256).

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه هو أن تلمسان قد عرفت العديد من الانقسامات السياسية بين سكانها، التي أثرت بشكل سلبي على الحياة العلمية بها، فقد أورد في هذا الصدد "أحمد توفيق المدني" في تقديمه لـ: "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار"، أنه بداية من القرن 11هـ/17م، حتى القرن 12هـ/18م، شهدت تلمسان خلال سنوات القرن

الأخير تمردات مباشرة على السلطة الحاكمة، ففي سنة 1171هـ/1757م، كانت هذه المدينة شبه مستقلة بأمورها، يحكمها القائد رجم بن البجاوي (كان حيا سنة 1171هـ/1757م)، فبعث الداي علي باشا جيشًا أرجع به المدينة إلى حكم الأتراك العثمانيين. وأوتي بالقائد رجم إلى الجزائر فأعدم(الشريف الزهَّار، 1974، ص: 18).

تلك هي السمات العامة للأوضاع السياسية والعسكرية التي سادت الإيالة الجزائرية، تخللتها بعض المشاريع الحضارية لقلة قليلة من البايات والدايات الذين عملوا كل ما بوسعهم للنهوض بالحياة الثقافية ورد الإعتبار للفئة المثقفة في المجتمع، كان من ضِمنها مشروع باي الغرب الجزائري محمد الكبير (ت 1212هـ/1797م)، الذي انتفعت منه حاضرة تلمسان آنذاك.

4- انتفاع مدينة تلمسان من المشاريع الحضارية للباي محمد الكبير:

لم يكن الحكام العثمانيون بإيالة الجزائر على ما يبدو بالدرجة نفسها من الإهمال للعلم والعلماء، حتى أن بعضهم كان عالمًا يُقرب إليه العلماء، ويبحث في حالهم وأحوال طلبتهم وتلامذتهم، فانتفع من هؤلاء ومشاريعهم الحضارية غير واحد من علماء تلمسان، وفي مقدمة هؤلاء الحكام نذكر الباي محمد الكبير (ت 1212هـ/1797م)، أواخر القرن 12هـ/18م، ومشروعه العلمي الذي كان فريدًا من نوعه بإيالة الجزائر، إلا بمثل ما شيده أيضًا صالح باي ببايلك الشرق. حيث عمل محمد الكبير على إكرام العلماء وتشييد المدارس والمساجد، وصيانة بعضها. وجعل إضافة إلى ذلك للعلماء والشيوخ مرتبات رسمية مُخصصة لهم من أموال الأوقاف والأحباس، كمرتفقات مالية تسد حاجاتهم المعاشية، بهدف تشجيع النشاط العلمي والتعليمي، وهو ما نجح فيه بشكل

مؤقت، على قول ابن سحنون الراشدي (ت بعد 1211هـ/ 1796م)صاحب "الثغر الجماني": "...، ومن أعظم مآثره، وإن كانت كلها عظيمة، أنه رتب المدرِّسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس، بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء، ...، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة، وشهرت النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوق كل أحد للتدريس، واشتد الحرص على التعليم، من بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة، لقلة جدواه"(ابن سحنون، 2012، ص: 141). وكان من بين هؤلاء العلماء من تلمسان، أبو عبد اللّٰه سيدي محمد بن عبد اللّٰه بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الجدّ (ت 1226هـ/ 1818م)، الذي نصبه محمد الكبير مدرسًا على مدرسة أبي مدين شعيب الغوث بالمركب العلمي والديني "العباد"، وفوض له أمرها كله، فيما يخص تسيير أحباسها وأوقافها، حيث ذكر ذلك حفيده بشيء من الإسهاب، بقوله: "...، وتصدى لخدمة العلم الشريف بالتدريس والتصنيف، إلى أن اشتهر به وشاع، وامتلأت به النواحي والبقاع، وكان ذلك على عهد الأمير الباي محمد الكبير، ...، أولاه بالإكرام وأخذ يبعث إليه في...، مدرسة الشيخ أبي مدين بالعباد وولاه أمرها، ...، وأفرده بدرسها وفوض إليه الأمر في مصالحها وحبسها وجعل له ذلك اشتغالا وأجر وعليه، ...، المال خمسين ريالا، وأسكن الدار بانيها، ...، فدرس بها برهة من الزمان، ..."(الزجاي، 1867، الورقة 9/أ).

وبالاستناد إلى الفكرة الأخيرة، فقد أصبحت صَفوَة تلمسان تُساهم في مختلف أفانين العلوم، بتدريسها وتلقينها للخلف، وبغض النظر عن تلك الظروف الصعبة التي صاحبت الحكم العثماني بإيالة الجزائر، نلاحظ أنه حتى البعض من البيوتات العلمية التلمسانية قد تأقلم علماؤها

مع الوضع الجديد الذي فرضته الحتمية التاريخية، وأضحى يسعى للسلطة والمشاركة في الحكم، بصيغة ثيوقراطية دينية، كبيت "أولاد نهار" الذين شكلوا قبائل المخزن خلال هذه الفترة بتلمسان على عهد العثمانيين.

كما لم تنقطع الحركة العلمية في قرى ومداشر تلمسان مع الكثير من البيوتات العلمية التلمسانية الأصل كـ: "قبيلة بني هذيل" الذي لَمَعَ فيها العالم أبو العباس أحمد الشريف الهذيلي التلمساني (كان حيا سنة 1015هـ/ 1607م)، وطار له صيت في المشرق والمغرب، وهو دفين محل يسمى "السادات" على نهر يتصل بواد تافنة، وهو جد قبيلة الشرفاء من بني هذيل النازلين بنواحي تلمسان(المقري، 1941م، ص: 56).

كما تنتسب إلى قبيلة "بني سنوس"، الكثير من الأسر العلمية التي اشتهرت بالعلوم العقلية والنقلية(ديستان، 2011، ص: 11)، كـ: "بيت أولاد رحمون التلمساني"، و"بيت أولاد شعيب التلمساني" الذي هو حسب صاحب "سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول"، بيت علم وشرف، ينتمي للشرفاء القادريين، كانوا ولا زالوا يقطنون بلدة "بني سنوس"(علي حشلاف، 1929، ص: 193).

وعليه، فإن ما قِيل على مدينة تلمسان أنها شهدت ركودًا علميًا في الفترة العثمانية، ومراكزها الثقافية عاشت الأفول في إشعاعها الفكري، ورِجالها العلماء شهدوا سِنين عِجاف في مردودهم الثقافي، حُكم مبالغ فيه إذا ما علمنا أن مدينة تلمسان ومن خلال ما وصلنا إليه من أبحاث في هذا المجال، مضمار الأوضاع الثقافية بهذه المدينة في الفترة الحديثة، أنها كانت على العكس من ذلك تمامًا، بل وكانت بعض مداشر تلمسان مثل "الحناية" وعالمها أبو عبد الله محمد بن محمد ابن

أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة 1025هـ/1625م)، يساهمون مساهمة جادة وفعالة في الميادين العلمية، وتُصدر العلم لبقية المدن الجزائرية، وحتى المدن والحواضر العلمية خارج إيالة الجزائر، كحاضرة "تيزي عدنيت" بالريف الشرقي للمغرب الأقصى، على ما أكَّده المؤرخ المغربي "الحسن الفجيجي" في معرض تقديمه لرحلة البطوئي والتعليق عليها، بقوله: "...، لقد ورد في هذه الرِّحلة علاقة عضوية كانت قد نشأت بين مدشري تيزي عدنيت ببطوية والحناية بتلمسان، مما كان له الأثر على تبني مسجد بني سعيد للاتجاه الصوفي التلمساني الذي جسده ابن مريم ومثله عيسى البطوئي بالريف الشرقي، ..."(حسن الفكيكي، (د.ت)، ص: 5).

وإلى جانب هذه الدلائل التاريخية، وقفنا على مجموعة من القرائن التاريخية المتنوعة التي استنبطناها من مضامين المصادر المخطوطة منها والمطبوعة، بمعلومات تدحض ما قِيل عنها من اندثار الحركة العلمية منها كُليَّةً، وأُصِيبت بالشلل التام، على ما سنعرضه من شهادات تخص علمائها في الموالي.

5- الازدهار العلمي بتلمسان من خلال شهادات علمائها على عهد العثمانيين:

لقد وردت كثير من الإشادات التي تنم عن الازدهار الثقافي بتلمسان، واعترافات تثبت ما وصلته هذه المدينة في الميادين العلمية، تُقِرُّ بالبَوحِ المُباشر والصريح لريادتها العلمية حتى خلال العصور الحديثة، بمثل ما كانت عليه تقريبًا إبان العصور الوسطى، وهو ما جاء عند صاحب "كعبة الطائفين"، حيث قال: "...، والعلم بها يغور ويفور، ..."(ابن الصائم (د.ت)، ص: 34)، إلا أنه أردف الكلام قائلاً عن أحوال العصر،

من ظلم الحكام، والفوضى السياسية والاجتماعية، واللامبالاة التي أصبح عليها العلماء ورجال الصلاح، ما نصه: "...، لم نجد نحن في هذا الأخير من القرن الحادي عشر. إلا العقارب واللفاع، والشقاق والنزاع، ...، المؤثرين سبيل الشر والابتداع، وما لنا عن دفع ما نزل بنا من قدرة وحول، ولا قوة لنا على التحول عن أهل هذا الحال، ..."(سعد الله أبو القاسم، ج:2، ص: 132).

شهادة أخرى أدلى بها العالم أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة 1025هـ/1625م)، في "البستان" عن كثرة أولياء تلمسان وفقهائها خلال القرن 11هـ/17م: "...، وأما أولياء تلمسان وفقهائها لا يقدر أحد على إحصاء عددهم لكثرتهم، ...، ولو رمنا استيفاء ذكرهم لضاقت الدفاتر عما انتهى إلينا خبرهم، ..."(ابن مريم، (د.ت)، ص: 507).

والشهادة نفسها أقر بها العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، في "نفح الطيب" عن تخرج ما لا يمكنه حصره من العلماء وطلبة العلم بتلمسان، حيث قال: "...، وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط، ويكفيها افتخارا دَفْنُ ولي الله سيدي أبي مدين بها، ..."(المقري لتلمساني، 1998، ج:7، ص: 136).

وشأن ذلك أيضًا ما ورد في ديوان العالم ابن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/ 1768م)، بقوله عن كثرة علماء بيت "أولاد الحاج اليبدري" في تلمسان القرن 12هـ/18م:

"وين أهل وادي الشولي ناس يبدر ديني غزلي

عندهم نحو مائة والي شي خفى وشي عرفوه"(ابن مسايب التلمساني، 1989، ص: 94).

أما عن تداعيات الإدارة التركية بالمدينة وتعسفاتها اتجاه العامة من الناس والخاصة من العلماء، يقول وهو يقصد الأتراك العثمانيين:

"هما سبب كل مشقة والخلق صابر لبلاهم
ذا القوم ما معهم الشفقة ما يرفقوا بمن والاهم
خربوا البلاد والمخزن زاد اعماها بعد الهناء بعد الزهو تلمسان" (ابن مسايب التلمساني، 1989، ص: 41).

6- الدور العلمي للمؤسسات الثقافية بتلمسان خلال العهد العثماني:

إن ما ميز الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال الفترة العثمانية هو الدور الكبير لمؤسساتها الثقافية والتعليمية، وكانت هذه المؤسسات تجمع بين الدور الديني والتربوي التعليمي، ولعل في مقدمتها المساجد التي بلغ عددها أكثر من خمسين مسجدًا، كان منها "مسجد سيدي بومدين" الواقع في "العباد" ضمن منشآت دينية ودنيوية، تعرف بـ: "مركب العباد"، الذي يوجد فيه ضريح أبي مدين شعيب الغوث (ت 594هـ/1193م)، الذي أسس حوالي عام 739هـ/ 1339م، وعرف تعديلات وترميمات خلال العهد العثماني خاصة من قبل محمد باي بن عثمان(بوعزيز يحيي، 2009، ص: 55).

ولقد عرف لنا ابن الصائم في مخطوطته "كعبة الطائفين"، أحد العلماء الذين كانوا ينشطون بالوعظ والتدريس بهذا الجامع، واختص في أصعب وأرقى علم من العلوم النقلية ألا وهو "علم التوحيد"، حيث قال في الشيخ أبي يعقوب سيدي يوسف الشريف التلمساني (كان حيا قبل 1055هـ/ 1647م)، ما نصه: "...، وكذا ذكر لنا سيدي يوسف الشريف

يوم الجمعة بجامع أبي مدين في ملأ من الناس، وزاد أنها لا تؤخذ بطبول ولا بفساد، وإنما يفتحها قلائل بكلمة التوحيد، وبشرني بحضوري معهم، ..."(ابن الصائم، (د.ت)، ص: 82).

ومن مساجد أحواز مدينة تلمسان التي اشتهرت خلال العهد العثماني نذكر "مسجد ستي الوصيلة" بهضبة لالة ستي الواقعة جنوب مدينة تلمسان، والتي تحمل نفس الاسم اليوم، أي هضبة لالة ستي، والذي كان يتعبد فيه العالم أبو عبد الله محمد بن محمد البطيوي التلمساني (كان حيا في أوائل القرن 11هـ/ 17م)، وهو ما ذكره "ابن مريم" في "البستان" بقوله: "...، كان يتعبد في ابتداء أمره في مسجد ستي الوصيلة، ...، وكان كثير العبادة، ..."(ابن مريم المديوني، 2014، ص: 432).

وقد أورد ابن الصائم في "كعبة الطائفين" أحد مساجد قرية أوزيدان الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من تلمسان، بقوله: "...، وسبب اجتماعي بالناظم، موسى الالتي، في جامع الزاوية المذكور، زاوية سيدي أحمد العبدون بـأوزيدان، ..."(ابن الصائم (د.ت)، ص: 89).

غير أن الملاحظ على مساجد تلمسان خلال الفترة العثمانية أنها كانت في أغلبها من تأسيس الزيانيين، إلا بعضا منها شيدها العثمانيون وبمساحة صغيرة كمسجد "قرية حْوَائتْ"، الواقعة بمنطقة "جبالا"، الذي أسس على ما يظهر حوالي عام 1144هـ/ 1736م(فاطمة الزهراء نجراوي، 2017 ـ 2018، ص: 116).

وإلى جانب مؤسسات المساجد التي لعبت أدوارًا رائدة في مجالات نشر العلم وتدريس العلوم العقلية والنقلية بتلمسان في العهد العثماني، كانت الكتاتيب تقوم بأدوار علمية ملموسة على مستوى تربية النشئ وتعليمهم مبادئ الكتابة والقراءة. ومن كتاتيب مدينة تلمسان في العهد

العثماني التي تحدثت عنها المصادر نذكر كُتاب "بيت ابن مريم" الكائن في حومة "باب علي" الواقعة في الركن الشمالي الشرقي لتلمسان. وورد ذكر مكانه في عند "ابن مريم" في معرض حديثه عن العالم أبي عبد الله محمد البطوئي التلمساني (القرن 11هـ/17م)، فقال: "...، يجتاز علي صباحا ويرجع مساء، وأنا في المكتب أعلم الصبيان في باب علي من مدينة تلمسان، ..."(ابن مريم، 2014، ص: 248).

وقد ذكر صاحب "البستان" إلى كُتاب آخر واقع في أحد مداشر مدينة تلمسان، نعته بـ: "كُتاب الدوار؟" و"كتاب الشريعة"، في معرض حديثه عن العالم أبي عبد الله محمد الكفيف السويدي التلمساني (ت 945هـ/ 1543م)، حيث أشار إلى الكُتاب المنعوت بـ: "الشريعة" بدوار مجهول في نواحي تلمساني، بقوله: "...، وله كرامات، حدثني والدي أنه قال لأصحابه، وأنا عازب غير متزوج: سمعت أولاد فلان في صلبه يقرؤون القرآن، ...، وجئته يوما أنا وصاحبي في زمان الخريف، والمؤذن يؤذن الظهر في الشريعة، وسط الدوار، وقلت لصاحبي: ندخل الشريعة، فدخلنا فإذا به خارج، ...، وصلينا الظهر، وجلسنا ساعة كبيرة، .."(ابن مريم، 2014، ص: 481 ـ 482). والشريعة على ما يبدو مصطلح لكل "كُتاب" موجود في ضواحي مدينة تلمسان.

أما عن مؤسسات المدارس في مدينة تلمسان إبان العهد العثماني، فقد كانت في مجملها مشيدة بالقرب من أضرحة العلماء والأولياء، مثل مدرسة سيدي الحلوي الشوذي بالجهة الشمالية من المدينة، التي يرجح تاريخ بينائها إلى سنة 754هـ/1344م(صبرينة نعيمة دحماني، 2020، ص: 82).

وعن النشاط العلمي لهذه المدرسة، وما خُصص لها من أوقاف وأموال إبان القرن 11هـ/17م، من قبل عائلات تلمسان، ذكر ابن

الصائم، في مخطوطة "كعبة الطائفين" وهو يقصد مدرسة سيدي الحلوي ومدرسة سيدي بومدين، ما يلي: "...، من جاورهما يجار من ظلم الفجار، ومن زارهما يعطى ما نوى إن صح له الاضطرار، ولهما جامعان للجمعة ومدرستان للطلبة، ...، وعليهما أحباس كثيرة ولهما مياه غزيرة، فرحم الله من تسبب في عمارة المدارس والمساجد، وأخذ من سعى في تخريبها بتغيير الأحباس والمقاصد، ..."(ابن الصائم (د.ت)، ص: 45).

واشتهرت في مدينة تلمسان خلال هذا العهد المدرسة التّاشفينية المعروفة بـ: "المدرسة الجديدة" تمييزًا لها عن المدرسة القديمة مدرسة أولاد الإمام، والكائنة بوسط المدينة في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد الجامع، أين توجد اليوم البلدية، التي شيد على أنقاضها متحف التاريخ والفن(صبرينة نعيمة دحماني، 2020، ص: 206)، والتي أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول عام 718هـ/ 1310م، ووصفها "المقري" في "نفح الطيب" بأنها من بدائع الدنيا"(صبرينة نعيمة دحماني، 2020، ص: 207). حيث قال في معرض حديثه عن كتابة مكتوبة على جدار هذه المدرسة، ما نصه: "قلت: قد تذكرت هنا، ...، ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا، وهو:

انظر بعينك بهجتي وسناني وبديع إتقاني، وحسن بنائي
وبديع شكلي، واعتبر فيما ترى من نشأتي بل تدفق مائي
جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بي أزهار وشيء نمقت فغدت كمثل الروض غِبَّ سماء"(المقري، 1998، ج:6، ص: 47).

وقد كانت هذه المدرسة على ما يبدو نشطة خلال العهد العثماني، استنادًا إلى وصف "الأب برجيس" التي زارها قبل أن تقوم السلطات الفرنسية الاستعمارية بتهديمها في إطار إعادة تشكيل المجال الحضري وتحديث المدينة وجعلها مقر للقائد السي حمادي ابن السقال التلمساني صديق الأب برجيس(Barges Labbe, 1859, P: 326 333). حيث ذكر "الأب برجيس" أن "المدرسة الجديدة" كانت محاذية لمدرسة "أولاد الإمام القديمة" و"المدرسة اليعقوبية"، وكانت مثلهما تمامًا تقدم مختلف الدروس الخاصة بالعلوم العقلية والنقلية، كالفقه، والنحو ومختلف العلوم الدينية، بناء على ما ذكره له صديقه قائد تلمسان والمنتمي لأسرة تلمسانية شريفة تعود جذورها إلى العهد العثماني بتلمسان وهي عائلة "سي حمادي ابن السقال"(Barges Labbe, 1859, P: 326 333).

وفيما يخص مؤسسات الزوايا، فمدينة تلمسان قد عرفت الكثير من مؤسسات الزوايا باختلاف أنواعها، والتي ارتبط نشاطها التعليمي بالتصوف والطرق الصوفية المنتشرة في المشرق والمغرب، والّتي كان الكثير منها منتشرًا في تلمسان. وهناك بعض الزوايا في تلمسان زمن العثمانيين تطور اهتمامها بالعلم والعلماء، وتخزين الكتب ونسخها إلى درجة أنها تحولت تدريجيًا إلى مدارس عليا أو معاهد كبرى مثل "زاوية عين الحوت"(عبد الرحيم بن منصور، 2011، ص: 34).

وقد اختلفت الوظائف الاجتماعية والدينية والعلمية للزوايا في تلمسان حيث كانت زاوية سيدي العبدلي التلمساني بحي "باب الجياد" إلى جانب كونها مركز تعليمي؛ كانت بمثابة ملجأ آمن للعصاة والخارجين عن القانون التركي بمدينة تلمسان، وهو ما أكده ابن الصائم، تلميذ الشيخ "سيدي العبدلي"، لما أشار في مخطوطته "كعبة

الطائفين"، أن شيخه المذكور قد جعل سكناه بـ: "باب الجياد" زاوية ومسكن لعابري السبيل والفقراء ومأوى يركن إليه المضطهدون المسلمون أو الذميون، خاصة من جور الأتراك وظلمهم، في قوله: "حضرت يوما مع الشيخ العبدلي في داره من حارة باب الجياد، وقد اجتمع عنده خلق كثير، مسلمون وذميون، هاربون من جور الولاة، يطعمهم ويسقيهم، ويشفع كل سبت فيهم، حتى يقضي الله حوائجهم على يده، ...، وقال له من أولئك الخائفين: يا سيدي، لم يبق في هذا الزمان حرم للمساكين إلا في دارك، وفي مقام الشيخ أبي مدين، فقال له: نعم يا ولدي، ..."(ابن الصائم (د.ت)، ص: 41785).

وهو الدور السياسي نفسه الذي لعبته زاوية سيدي الطاهر بن سيدي أحمد الشارف المستغانمي التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، حيث يشير "إدموند دوتي" في كتابه "الصلحاء" للمكانة التي حظي بها سيدي الطاهر المستغانمي التلمساني وأحفاده في المجتمع التلمساني خلال القرن 11هـ/17م، كونه من جهة إدريسي النسب(أنظر التعليق رقم: 3) (دوتي إدموند، 2014، ص: 71)، ومن جهة أخرى قد كان بخصاله الحميدة ينصر الحق ويشيع الأمن والأمان في صفوف الملتفين حوله، وهذا ما يعطينا الدليل على أن هذا الولي الصالح كانت له زاوية في سهل تافراوة (سبدو حاليا) أين توجد إلى اليوم قبته وبجوارها ضريح أخيه الفقيه يحيى وابنيه الفقيهين البشير والبوعناني، اللذان تفرعت منهما فرق وبيوتات فقهية وصوفية تلمسانية الأصل والمنشأ(دوتي إدموند، 2014، ص: 71).

وقد كانت هناك بعض الزوايا في تلمسان تتعرض للتخريب من قبل الحكام الأتراك، لعدة أسباب أهمها الخوف من العلماء والصلحاء

المؤسسين لهذه المؤسسات الدينية، وإمكانية التفاف السكان حولهم، ما يجعلهم زعماء للثورات المناهضة للإدارة العثمانية، وهو ما حدث مع زاوية بيت أبي ترفاس محمد بن محمد الندرومي التلمساني (ت 1192هـ/ 1784م)، بـ: "العين الكبيرة"، على ما فصل فيه صاحب "دليل الحيران" وهو يسرد سبب موت الباي الحاج خليل (أنظر التعليق رقم: 4) الذي دعا عليه بعض العلماء ومنهم الشيخ أبي ترفاس الندرومي التلمساني، الذي خرب زاويته وشتت طلبته الباي المذكور، فقال: "...، ودعاء شيخ الطلبة ولي الله أبي ترفاس محمد بن محمد، ..."(ابن يوسف الزياني، 2012، ص: 259).

وعن تفاصيل هذه الحادثة يقول صاحب المصدر المذكور، أن الشيخ أبا ترفاس غزاه الباي وأخذ قيطنته (قريته ومدشره) وفرق الطلبة عنهم، فقال له الشيخ نحن مساكين لا معرفة لنا بالملوك وشؤونهم، وفضحتنا فضحك الله وعجل بهلاكك، فرجع الباي خليل ولما وصل لحمام "أبو غرارة"، بأرض "ذوي يحيى" ابتلاه الله بعلة يقال لها "الشهدة"، وهي حبة عظيمة أصابته بين كتفيه وتخرقت مثل الشهدة، فحملوه من هناك لتلمسان، ولما وصلها مات بالبيت التي بها دون علم أحد(ابن يوسف الزياني، 2012، ص: 260).

ويبدو أن هذه الزاوية كانت تشكل بؤرة عصيان كبيرة للإدارة العثمانية، ففي عهد العالم أبي ترفاس الندرومي التلمساني (كان بعد سنة 1222هـ/1814م)، وفي زمن الباي محمد بن عثمان الملقب بـ: "الرقيق"، و"المسلوخ"، والمكنى بـ: "أبي كابوس"، خُربت هذه الزاوية من جديد، وكان يديرها أحد أبناء الشيخ أبي ترفاس السابق الذكر، بسبب ميلهم لثورة درقاوة على ما يبدو، حيث قال صاحب "دليل الحيران": "...، ولما

تولى اشتغل في أيامه بطلب الدرقاوي،...، وقطع آثاره ومعالمه، وبغاته ومظالمه، حتى إن من حسد أحدا وشى به عنده وادعى عليه محبة الدرقاوي، فإنه ينتقم منه فورا،...، وصار مهما ظفر بأحد من درقاوة بادر للانتقام منه بأي نوع شاءه،...)(ابن يوسف الزياني، 2012، ص: 295).

وعن تخريب الزاوية وكل مدشر أبي ترفاس، قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني (كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م): "...، فغزى صهره الشيخ أبا ترفاس، لما سمع بالدرقاوي عنده على غفلة من الناس، ولما سمع الدرقاوي بنهوض الباي إليه، فر هاربا،...، وخرب قرية أبي ترفاس، واحتطب أجنتها،...، ولما فعل بقرية الشيخ أبي ترفاس أفعال الشرور والإفلاس، قال له: أيها الباي لماذا فعلت بنا هذا ونحن من ضعفاء الناس؟ فقال له: إن صهرك درقاوي، يأوي إليك، فأنت مثله، وأحوالك ببداية، فقال له: إني شيخ طلبة لا غير، وعايرتني بالتدرقي ولست من أهله، وخربت مكاني، خرب الله عن قريب مكانك، وألبس لك التدرقي عبابة،..."(ابن يوسف الزياني، 2012، ص: 298 ـ 299).

ومن بين الميادين الّتي إزدهرت فيها تلمسان خلال العهد العثماني، ميدان النّسخ والوراقة، فقد إزدهر فن نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينيّة المشرقيّة والمغربيّة، فضلاً عن المصنّفات التلمسانيّة المحليّة، ومختلف الكتب العلميّة والأدبيّة، وفن الرّسائل الدّيوانية، هذه المؤلّفات الّتي ملأت بها القصور والخزائن العامّة والخاصة، كما ذكر المقري في "أزهار الرياض" عن خزائن الكتب بتلمسان وما تحتويه من كتب علماء الأندلس كالعالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري القرشي التلمساني (ت حوالي سنة 1025 هـ 1616م)، الذي عثر له نحو المائة سفر من خط يده ونسخه، باعتباره على حسب قول المقري أنه كان نساخًا ماهرًا، حيث

قال: "وكان رحمه الله كثير النسخ والتقييد، آية الله في ذلك، حتى إني رأيت في خزائن أهل تلمسان بخطه نحو المئة سفر، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة، ...، وأخبرني مولانا شيخ الإسلام عمنا مفتي تلمسان، سيدي سعيد بن أحمد المقري رحمه الله، أنه نسخ نحو العشرين نسخة من توضيح خليل، وكان يحترف النسخ، رحمه الله..."(المقري، 1980، ج:3، ص: 309).

وقد تنافس أهل تلمسان زمن العثمانيين على اقتناء الكتب أو نسخها، فبرز بذلك فنّ الخطّ، والتّجليد، والتّوريق، وتذهِيب العناوين، وتلوين بعض حروفها، وتجميل شكلها، وإخراجها في ثوب جميل يليق بمضامينها(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 290).

وتشير المصادر على أنه كان في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الكتب عمومًا من وراقة وتجليد ونسخ وخط، حيث ذكر صاحب "منشور الهداية" أن محمد النقاوسي كان سِمسارًا في الكتب في قسنطينة(عبد الكريم الفكون، 1987، ص: 226). وفي تلمسان ذكر "أبو القاسم سعد الله" أن السيد "علي تجيرست" أنه كان مشهورًا بالاشتغال بالوراقة، كما أنه كان عالمًا يسمع الحديث في الجامع الكبير(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 291 ـ 292).

وقد بلغت درجة حب الكتب والتعلق بها أن أدمن عليها حتى الملوك بتلمسان، حيث ذكر "المقري" في "نفح الطيب" أنه وجد كتابًا ألفه جده عند ملوك تلمسان المهاجرين إلى فاس، في قوله: "قلت: وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف، ..."(المقري، 1998، ج:5، ص: 285).

وذكر المؤلف نفسه في "أزهار الرياض" ما نستنتج منه أن علماء تلمسان ومنهم الشهاب المقري كانوا يمتلكون نفائس الكتب التي فقدها غيرهم في الحواضر العلمية ككتاب "الغنية"، حيث قال: "وقد ذكر كثيرا من أحوالهم في "الغنية"، ولم تحضرن نسخة منها الآن بفاس، لأني تركت التي عندي بتلمسان، ولم أجد منها بفاس نسخة."(المقري، 1980، ج:3،ص: 59). وأضاف يقول في الجزء الرابع من "أزهار الرياض" حول هذا التأليف: "..، كتاب الغنية،...، ووقفت عليه بتلمسان، وهناك تركت نسختي منه، ولم اقف عليه الآن بفاس، بعد طول البحث عنه"(المقري، 1980، ج:4، ص: 347).

هذا ولقد تأثر أهل تلمسان باقتناء الكتب وحيازتها لدرجة ركوب هول الرحلة إلى المراكز الثقافية بالبلاد الإسلامية من أجل الوصول إليها، خاصة أواخر القرن 12هـ/18م، وهذا ما يؤكد اهتمام وعناية الجزائريين عامة بالكتب. فقد روى المؤرخ "الجبرتي" أن والده قد ذكر له أنه ورد عليهم في مصر سنة 1196هـ/1788م، بعض الحجاج الجزائريين وسألوه عن كتب يشترونها، ومن بينها كتاب "زيج الراصد" للسمرقندي، الذي كانت لدى والد الجبرتي نسخة منه، غير أنه رفض بيعها لهم رغم الإغراءات المتكررة من جانبهم، لكن أبى أن يسمح لهم بشرائها لأنها نسخة عزيزة عليه. وإذا لم يذكر لنا "الجبرتي" أصل هذا الرجل الذي أراد شراء هذه النسخة، إلا أنه لمح إلى كونه ثريا، وكان صحبة خادم له، وأنه متعلق جدًا بالكتب لدرجة ارتحاله مجددًا للحرمين الشريفين أين عثر هناك على نسخة من هذا الكتاب. فضلاً عن شرائه مجموعة كبيرة من الكتب من مصر عند عودته لوطنه(سعد الله أبو القاسم، 2009، ج:1، ص: 288).

كما كانت خزائن الكتب بتلمسان في العهد العثماني تضاهي أعظم خزائن العالم الإسلامي وأشهرها، إذ أكد "المهدي البوعبدلي"، في مقدمة تحقيقه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، على أن المؤرخ أبا القاسم الزياني (ت 1241هـ/ 1836)، لما نزل بتلمسان عثر على تآليف "سليمان بن إسحاق المطماطي"، و"هاني بن يصدور القوصي"، و"كهلان بن أبي لؤي الأوربي"، وكلها في تاريخ وأنساب البربر، وأيامهم في الجاهلية والإسلام، لأنهم كما قال الزياني في طلبة وعلماء تلمسان: "كانوا نسابة البربر"(ابن سحنون، 2012، ص: 61).

ولقد بلغ علماء تلمسان مبلغ الحذق في فنون التأليف وصياغة عناوينها حتى أصبحوا مقصد من يريد التدقيق أكثر في عنوان مؤلفه، على ما وقع للعالم أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (ت بعد 1211هـ/ 1796م)، وكتابه الموسوم بـ: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لما اطلع عليه عالم تلمسان أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ المناوي اليبدري التلمساني (من علماء نهاية القرن 12هـ/ 18م، وبداية القرن 13هـ/19م)، ودقق في صياغة عنوانه وحوله إلى "الدُّرُّ والعسجد في مناقب الباي محمد"، على حد قول ابن سحنون: "وقد سميت هذا الصوان المحتوى على لبابه، والمليح المشتمل بثيابه: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، ولما وقف عليه العلامة السيد اليبدري ابن حامد سماه: "الدُّرُّ والعسجد في مناقب الباي محمد"(ابن سحنون، 2012، ص: 100).

وقد أرخ المقري في "أزهار الرياض" للخزانة الوسطى للمسجد الكبير بتلمسان وما تحتويه من نفائس الكتب في القرن 11هـ/17م، حيث أورد عنوان لكتاب "المطمح"، فقال: "وقد رأيت بعض أوراق من

المطمح، بخزانة الكتب من الجامع الأعظم بتلمسان، حرسها الله، أعني الخزانة الوسطى، التي فوق محراب الصحن، وهي التي يجلس بها الأشراف، أحفاد الشيخ الإمام، علم الأعلام، سيدي أبي عبد الله الشريف التلمساني، رحمه الله، فوجدت ألفاظه، أعني المطمح"(المقري، 1980، ج:3، ص: 18).

ومن ضمن المكتبات العامة بتلمسان خلال العهد العثماني يمكن ذكر مكتبة المشور التي قدم في شأنها الرحالة الفرنسي **"الأب برجيس"** ملاحظات هامة على ما تحتويه من كتب نادرة تخص تاريخ الجالية اليهودية بتلمسان، لما دخل لهذه المدينة في خمسينيات القرن 13هـ/19م، حيث أكد أنه رغم مساعيه في العثور على مخطوطات عبرية تؤرخ للوضع العام الذي كان عليه اليهود العبريون في مدينة تلمسان إلا أن جهوده لم تكلل بالنجاح(Barges Labbe, 1859, P:92). غير أنه أشار إلى مخطوط نفيس وجده في مستشفى المشور مرتب في خزانة الكتب الخاصة على ما يظهر بمركب المشور عامة، هذا المخطوط المنسوب للطبيب "أبراهام" إبن الحاخام "يعقوب قابيسون" الذي قدم من مدينة ليفورنة سنة 1156هـ/ 1748م، والذي كان يحتوي حسب كلام "الأب برجيس" أسماء الكثير من العلماء اليهود. إلا أنه أكد أن الكلمات الواردة في هذا المخطوط لم تتح له الإطلاع على معلومات مفيدة تخص تاريخ اليهود العلمي في تلمسان على الأقل(Barges Labbe, 1859, P:92).

وحسب "الأب برجيس" كانت على ما يبدو بـ: "المدرسة اليعقوبية" خزانة كتب عثر على بعض كتبها ومخطوطاتها الرحالة المذكور أثناء حلوله عليها في خمسينيات القرن 13هـ/19م، ومن بين تلك المخطوطات

والكتب: "المفتاح في أصول الفقه"، و"الجمل الخونجية"، و"كتاب العمدة" لابن هشام(Barges Labbe, 1859, P: 326 333).

خاتمة:

مجمل القول من خلال ما قدمناه في هذا البحث التاريخي والموسوم بـ: "التاريخ العلمي لمدينة تلمسان إبان العهد العثماني من خلال النصوص والوثائق التاريخية". والقراءة الاستنتاجية المتأنية لما خلفه علماء تلمسان على عهد العثمانيين من مؤلفات احتوت على مادة مصدرية مهمة تؤرخ للأوضاع الثقافية في مختلف المؤسسات العلمية والفكرية بمدينتهم تلمسان التي قفزوا بها لمصاف الحواضر الثقافية بالبلاد الإسلامية، تمكنا من الوقوف على مجموعة من النتائج حصرناها في النقاط التالية:

كشفت المصادر المخطوطة والمطبوعة الخاصة بعلماء تلمسان خلال العهد العثماني على حركية علمية غزيرة في تلمسان، جعلتها تضاهي حواضر البلاد الإسلامية وتنافس مشيختها في حلقات العلم والمعرفة.

ولم تنقطع الحياة العلمية في تلمسان على عهد العثمانيين، بفضل نخبتها العلمية التي ركبت هول الصعاب، وتحملت في سبيل نشر العلوم عبئ الوضع السياسي والاجتماعي الذي عاشته مدينتهم وقتذاك. بل الأكثر من ذلك قامت هذه المدينة العلمية بتصدير العلم والعلماء إلى مختلف حواضر المشرق والمغرب.

شكلت تلمسان خلال العصر الحديث جوهرة علمية، ومنارة فكرية، ولؤلؤة ثقافية، امتدت جذورها من العصور الوسطى زمن بني

عبد الواد الزيانيين إلى غاية العصور العثمانية، التي أكدت على ضوئها هذه الدراسة أن المؤسسات الثقافية بتلمسان واصلت حمل لواء العطاء الفكري والعلمي، التي كانت مظاهره: المساجد، الكتاتيب، الزوايا، المكتبات، وغيرها من المراكز الثقافية، على اختلافها وكثرتها، لتعد أوثق شاهدٍ على الإزدهار الثقافي الذي وصلته تلمسان أيام العثمانيين، على الرغم مِمَّا قيل عنها أنها تراجعت علميًا، وأصابها الشلل في حركتها العلمية والفكرية، من خلال ما صدرته المدرسة الفرنسية في إطار إعادة كتابة تاريخ الجزائر عبر العصور، متعمدة بذلك تاريخ مُمَنهج يلعب فيه الاختزال الحضاري السمة البارزة التي تميزت بها المدرسة الإستعمارية الفرنسية منذ القرن 13هـ/19م.

التعليقات:

1- أكدت المصادر أن الباي مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المسراتي، (الباي رقم 18 لبايلك الغرب)، تولى بايا على مازونة وتلمسان، وهو أول من جمعت له الإيالة الغربية سنة 1098هـ/1690م، ونقل كرسي المملكة من مازونة للقلعة ثم لمعسكر، وجعلها قاعدته لكونها وسطًا بين تلمسان ومازونة (ابن يوسف الزياني، 2012، ص: 253).

2- يعتقد أن هذا المدعي المغربي الذي ذكره المؤلف هنا هو المسمى أحمد بن عبد الله، وهو الذي ادعى المهدوية وأنه "فاطمي"، وكتب في ذلك تقييدًا أرسله إلى عبد الكريم الفكون، وأضاف هذا الأخير لما تكلم عن الشيخ أبو الحسن على أبهلول، أن أبهلول هذا كان له إعتقاد في أبي العباس أحمد بن عبد الله السوسي، وأن ذلك المدعى قد ثار بالغرب أي تلمسان، واعتقد الناس بعد موته أنه لم يمت بل غيب إلى وقته المعلوم فيخرج. وفي ذلك يقول الفكون: "كان على أبهلول فطنا لقنا، صاحب شعر كثير وفصاحة وفهم، وله إنشاءات شعر كثير، وله اعتقاد في أبي العباس

أحمد بن عبد الله الذي قام عندهم بالمغرب (يعني الغرب ـ تلمسان)، ولهم فيه دعوة أنه الفاطمي على ترهات كثيرة نشأت فيه من المغرب، وكتب فيه تقييدا أنه هو الفاطمي، وأرسله إلى بعد موته، ويظنون أنه لم يمت وأنه غيب إلى وقته المعلوم فيخرج، إلى غير ذلك من خرافات لا يليق سماعها. وقد مات في الحرب الواقع بينه وبين القائم الآخر الذي يقال له يحيى السوسي أو غيره"(عبد الكريم الفكون، 1987، ص: 226).

3- سيدي الطاهر: هو جد فرقة أولاد سيدي الطاهر، ينتمي نسبه الشريف إلى الإمام إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وفد على منطقة سبدو من نواحي مستغانم في القرن 11هـ/17م، واستقر بها. (قويدر قيداري، 2019، ص: 17).

4- الحاج خليل (ت1192هـ/1784م): هو الباي السادس عشر لبايلك الغرب، ويعرف عند العامة وقتذاك بالباي خليل، تولى الحكم في السنة التي توفي فيها الباي إبراهيم المليانى، وهي سنة 1185هـ/1777م، وكان لا يحب الأولياء ولا غيرهم، وتوفي بتلمسان سنة 1192هـ/1784م، فدفن بقبة سيدي محمد السنوسي (محمد بن يوسف، 2012، ص: 259).

قائمة المصادر والمراجع:

1- إدموند (دوتي) (ت 1334هـ/ 1926م)، (2014)، **الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر**، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، المغرب: إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

2- إدموند (ديستان)، (2011)، محمد بن حاج سراج، **بني سنوس**، ترجمة: حمداوي محمد، تلمسان: منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

3- بوعزيز (يحيي)، (2009)، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

4- بومدين (محمد)، (2019)، "**الإسهامات العلميّة والفكريّة لنخبة البيوتات الأندلسيّة العالمة في تلمسان العثمانيّة 962هـ/ 1554م ـ 1280هـ/ 1808م**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 07، العدد 18.

5- دحماني (صبرينة نعيمة)، (2020)، **الآثار الإسلامية الدينية بمدينة تلمسان، إحصاء وجرد وتحليل، (دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية)**، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

6- الزايري (أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر الوهراني الحميدي ت 1249هـ/ 1833م)، (1974)، **أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر أو تاريخ بايات وهران المتأخر**، تحقيق: بونار رابح، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

7- الزجاي الحفيد التلمساني (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا كان حيا سنة 1284هـ/1867م)، (1867)، **مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر**، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D.9307، 50 ورقة.

8- الزياني (أبو عبد الله محمد بن يوسف كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، (2012)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق: المهدي البوعدلي، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

9- ابن سحنون الراشدي (أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ت بعد 1211هـ/ 1796م)، (2012)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

10- سعد الله (أبو القاسم)، (2009)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500 ـ 1830**، (ج1)، الجزائر: دار البصائر.

11- ابن الصائم التلمساني (أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري الجازولي كان حيا سنة 1066هـ/1656م)، (د.ت)، **مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين**، مكتبة جامعة الملك سعود، يحمل رقم 0ـ01ق6/1760، 186 ورقة.

12- عبد المعطي (حسام محمد)، (2015)، **المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر**، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مصر: مكتبة الإسكندرية.

13- علي حشلاف أبو محمد عبد الله ابن محمد بن الشارف، (1929)، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، تونس: المطبعة التونسية.

14- الفكيكي حسن، **"من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري: عيسى بن محمد الراسي البطوئي"**، مجلة دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط – المغرب، العدد: 23.

15- ابن مريم المديوني التلمساني (أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد كان حيا سنة 1025هـ/1625م)، (2014)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: بوباية عبد القادر، بيروت: دار الكتب العلمية.

16- ابن مسايب التلمساني (أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد ت 1190هـ/ 1768م)، (1989)، **ديوانه**، إعداد وتقديم: السحنوني الحفناوي أمقران وسيفاوي أسماء، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

17- المشرفي (عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي الجلال الغريسي المعسكري ت 1192هـ/ 1778م)، (د.ت)، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الجزائر: دار الوعي.

18- ابن المفتي (أبو علي الحسين بن رجب شاوش ت بعد 1166هـ/ 1753م)، (2009)، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع: كعوان فارس، الجزائر: بيت الحكمة.

19- المقري التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت1041هـ/ 1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، (10 أجزاء)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.

20- المقري التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت1041هـ/ 1631م): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، (5 أجزاء)، تحقيق: سعيد أحمد

أعراب، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1980.

21- المقري التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت1041هـ/ 1631م): (1349هـ/1941م)، **زهرة الأخبار في تعريف أنساب آل بيت النبي المختار**، الرباط: المطبعة الجديدة.

22- ابن منصور (عبد الرحيم)، (2011)، **عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان**، تلمسان: نشر ابن خلدون.

23- الناصري (أبو راس محمد بن أحمد البرجي ت 1238هـ/ 1823م)، (1986)، **فتح الإله وَمنته في التحدثِ بفضل ربي ونعمته**، تحقيق: الجزائري محمد بن عبد الكريم، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

24- Barges (Labbe), (1859), ***Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage***, Challamel Aine Libaire, Paris.